

العودة الى الوطن

من أرشيف المرحوم حسين شكور جمعة القصاب

في مدينة أسسها - طوز خورماتو - أصبحت النور لأول مرة أواسط الخمسينيات وفي اسرة كان دخلها الشهري متوسطا لكنه يكفي لأكثر من شير لأرتفاع قيمة الدينار العراقي القديم آنذاك .. تربينا مع اولاد المحلة .. محلة صغيرة ايضا لكنها محلة لعبت دورا تضاميا كبيرا في تاريخ المدينة .. وكنا منجيين بالاخلاق النبيلة وحسب الوطن والطاعة والايامن بالله الواحد الأحد والتعلق بالعقيدة ، عقيدة أهل البيت الكرام (ع) .. التحقنا بالمدارس في نفس المدينة ، وقضينا فيها اكثر الأوقات ، وكان الدوام اليومي في المدرسة ستة دروس اربعة منها قبل الظهر واثنان بعد الظهر ، تلقينا العلوم والتربية على يد خيرة معلمين آنذاك ، وكان اهتمام المعلمينا اكثر من اهتمام أولياء أمورنا ، ليس في المدرسة فقط بل تعدى ذلك الى خارج المدرسة .. كانت لدينا مساحة للعباب الرياضة في الاعاديبة القديمة نستغلها لممارسة الرياضة وخاصة كرة القدم بعد الدوام وفي ايام العطل وذلك لافتقار المدينة الى اسكان خاصة للتصليبة ، لم تكن لدينا مسوى (حديقة الأمة) - مللت باعجاسي- وهي حديقة متواضعة يقصدها الناس للترويح عن النفس ، وقضاء اوقات سبعة .. ومع مرور الزمن انحسرت هذه الحديقة وتحولت الى مراب لمسيارات الشاحن الكبيرة بعد ان قطعت اشجارها وتحولت ملاعبها الحديدية الى ابواب ونوافذ .. كنا نتنافس مع فرق الاحياء الاخرى في المدينة في ألعاب كرة القدم والسلة والطائرة والعباب الساحة



والميدان بطرق بدائية ، وكان يربطنا مع ساكني الاحياء الاخرى الاحترام والتقدير ولم تكن هناك خلافات ومشاكل فيما بيننا ، وكان للجار حق على الجار لابتداع مهما كانت الاسباب .. وكان للمعلم دور كبير في تنشئة الاطفال ولم يتدخل الآباء يوما في شؤونه بل كانوا يسلمون اطفالهم الى المدرسة ولسان حالهم يقول :-

(هذا ابني لحسه لكم وعظمه لنا) ولم تكن نحترم المعلم داخل المدرسة قط بل كنا نتفرق حالالا عندما نرى المعلم قادما من بعيد حتى خارج المدرسة .. وكان بعض المعلمين ومدراء المدارس يتجولون على درجاتهم الهوائية داخل الاحياء لتسابعة تلاميذهم خارج المدرسة .. مرات الاعوام .. اكثنا الدراسة جميع مراحلها وتخرجنا ، وبدأت اعمار الفراق عن الامل والاحبة والاصدقاء والوطن بسبب متابعة رجال الأمن لابناء المنطقة وزجهم في السجون والمعتقلات ، وأعدامهم باسبب التهم الملققة .. تمكنت من الفرار الى منطقة الجبال مع بعض الاصدقاء وعشنا في وديان وكهوف في ظروف مناخية قاسية وتمكن بعض الاصدقاء من الهرب الى بلدان اخرى .. لقد تحسنا مصاب العيش في تلك المناطق واضطرتنا تحت وطأة الجوع الى أكل سنايل الحنطة والشعير لعدم الحصول على المواد الغذائية ، لكننا كنا ننسى بالعودة الى ارض الوطن وسلماسة اختصاصاتنا التي درسناها ، لكننا أنفسنا ونخدم شعبنا بؤمهاكتنا ، لكن السنين مرت بسرعة الريح حتى وصلت الى (٢٤) عاما من الضياع والغربة الى ان حلّ يوم التاسع من نيسان يوم سقوط النظام .. فرحنا كثيرا لاننا اخيرا سنعود الى احضان الوطن من جديد وتتكحل عيوننا برأى الامل والاصدقاء الذين افتقدناهم اوعاما مريرة ، وقلنا سنعود لنعوض ما فاتنا ونسعد عوائلنا التي تحملت من ورائنا ملاحقات دوائر الأمن من مناهات واستدعاءات الى دوائر الأمن وحجب البطاقة التمييزية عنهم لسنوات عديدة للضغط عليهم لاستخدام ابناءهم من الخارج حتى يزج بهم النظام في أتون حروبه العنيفة حتى وصل الأمر به الى ترحيلهم وتهجيرهم من مناطق سكناهم ، ونظرا للفوضى وعدم الاستقرار الذي اعتقب سقوط النظام قررنا العودة الى الوطن لفترة قصيرة لرؤية من افتقدناهم خلال سنوات الغربة او قل من بقي منهم حيا بعد الويلات التي مرت بهم أثناء غيابنا .. احسنا اول مرة ونحن في احضان وطن والامل من جديد كان عرسا داخل المدينة فلما الت التقاليد القديمة في التهاني والتبريكات قاسية .. تواف ابناء المدينة التي بيوتنا لتقديم التهاني بوصولنا سالمين ، ولكن ساحر في نفوسنا ان المدينة لم تتقدم في كل النواحي فالشوارع

سازالت نفسها والبيوت على حالها والخدمات متعسمة والناس تلسم جراتها ، وبعد ان اطمان قلبي على اسرتي عدت بعيدا عن الامل مرة اخرى لغرض تهيئة عائلتي الموجودة في البلد التي واصلت اعمالها المتعلقة بالزجاج لثانيه في اقرب وقت الى الوطن ، بعد ان سمعت ببنية اعادة كل من ترك وظيفته بسبب الظلم والمطاردة من قبل النظام السابق وتعويض عما لحقه من عين ، وقبل عودتي سبقتي احد اخواني كالبعودة مع عائلته الى الوطن وأكمل جميع المستندات الخاصة والمتعلقة بإعادته هو وزوجته الى الوظيفة كقضية الذين كانوا خارج الوطن ، ومرت سنة كاملة وهو يراجع الدوائر المعنية وابواب الاحزاب السياسية لأنه مثل غيره من تضررت عوائلهم ابان النظام السابق ونالوا القسط الكبير من السجن والتشريد وحجب المواد الغذائية وسلبهم بالتزحيل من قبل الجهات الأمنية بين فترة واخرى .. لكن جميع جهوده باعته بالفشل ولم يعد هو وزوجته الى الوظيفة فاعتمد على نفسه في اعادة اسرته علما ان الكثيرين قد نددت اعلاقتهم الى وظائفهم ولم يكونوا معارضين للنظام بل تركوا الوطن لقلة الراتب الشهري وكنت قد حاسبتهم من خارج الوطن لعدم معرفتي للحقيقة عما يدور في الوطن واستمرارية بقاء الزوجين او دفع الرشاوي لتسوية المعاملات وان اصحاب الحق يعلون بواجور يومية ويتنصرون للفرج من الوزارات المعنية والاحزاب السياسية التي تلذّب بحقوق الانسان لاعادة حقوقهم السلموية او بعد اكمال تعيين اقاربهم لان (الاقربون هم اولي بالمعروف) وبعد فترة عدت ثانية الى الوطن لاكمال معاملة اعلاقتي للوظيفة كقضية اصدقائي الذين كانوا معي في صفوف المعارضة طيلة (٢٤) عاما وكنت معهم في السراء والضراء وتحمل فرق الامل وقصف الطائرات والمدافع الثقيلة للمناطق التي كنا فيها طيلة فترة الحرب إلا انني فوجئت بوجود امور كثيرة تعف عني في طريق عني الى الوظيفة منها تقديم ملف كامل لسيرتي الذاتية خلال الاربعة وعشرين عاما التي قضيتها في المعارضة ، ولكن لسلاسة موقفي قدمت لهم سيرتي الذاتية بكاملها وكان ردهم لي :- انتظر بداية الدوام الرسمي في الشهر التاسع عند ذلك عرفت بان اخواني لهم الحق في التقاد الوضع السياسي ما بعد سقوط النظام ، فقررت العودة الى عائلتي الجديدة في دولة اخرى والتي لم تعبرنا يوما خلال (٢٤) عاما مضت باننا منهم لمكون مستقر رسمي ومحل ولادتي العراق وباتي سوف لن أكون منهم لاختلاف قوانينهم ونظمتهم عن باقي دول العالم وانا الان في حمرة ودعائي للجميع بالتوفيق والنجاح.

حكاية الايام

اي فرد مهما كان شأنه في المجتمع قادر على العطاء وخدمة المجتمع ضمن قدراته الشخصية والنفس كما يقول الشاعر :

من يدو ومن حضر بعضهم لبعض خدم
ومن أرفع الخدمات وأجلها اعادة المنكوبين و انتقاد الغرقى وانتشل
جثث من لم تكتب لهم النجاة ، ومن الاشخاص الذين يتفخر بهم مدينتنا الحبيبة طوز السباح الماهر (بهجت بربر) الذي انقذ العشرات من ابناء المدينة من الموت غرقا وانتشل جثث عشرات آخرين من اصاق المياه ممن لم يجوا من الغرق .. وبنساء على طلب الاخوة العاملين في جريدة أقصو ان يكون هذا السباح البطل موضوع حكايتنا هذا العدد بادرت على التو بزيارته في صالون الحلاقة الذي يسكنه في وسط السوق ومن خلال حديث طويل وشيق معه توصلت الى كثير من جوانب شخصيته الخلابية

ولد بهجت زين العابدين مهدي بربر من أبوين تركانيين في مدينة طوز خورماتو في محلة مصطفى آغا عام ١٩٥١ ، وهو أب ثلاثة اولاد واربع بنات احدا هن مصابة بشلل رباعي .
بهجت بربر يتسم بالهدوء والشفافية في تعامله مع زبائنه وبالمناصفة أنا احد زبائنه ، أخلق عنده منذ فترة طويلة ولم اراه يوما يسىء معاملة الزبائن وهو لا يحدد سعرا معينا للحلاقة كبقية أقرانه وانما يقبل يأتي ثمن يدفعه الزبون له كما أنه لم يرفض يوما شخصا كلفه بانتشل جثته غريق له وفي اي وقت من اوقات اليوم ، واذا صادف أن طلب منه احد خدمة من هذا النوع فإنه يبادر الى غلق محل رزقه ويذهب معه الى حيث يريد ويدون مقابل وانما قرية الى الله تعالى وطلبا للأجر والثواب ، ومثل هذا الانسان اعتبره مسائرا على نهج الامام زين العابدين (ع) الذي وصفه يوما الشاعر الفرزدق امام الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك عندما أراد انكاره :

لو لا الشهد لكانت لآؤه نعم
تعلم (بهجت) السباحة عام ١٩٧٠ عندما كان يتردد يوميا في ايام الصيف الى نهر ((أقصو)) مع زميلين لهما :
حسين حقي الملقب ببـ ((هجوب)) صاحب مرطبات طوز حاليا وهو من مواليد ١٩٤٥ تعلم السباحة فاجادها عام ١٩٦٠ وساهم في اخراج الغرقى حتى عام ١٩٨٥ .
وبعد ما ترك السباحة لأصابته بشلل لاق في فقراته .

والمرحوم نجيب شاكور تزلهي وقد اجاد السباحة هو وبهجت عام ١٩٧٥ وكانا يتسيز ان بطول النفس اثناء الغوص في الماء ، توفي نجيب شاكور عام ١٩٩٩ وظل بهجت يسارس وحده مهمة انتقاد الغرقى وانتشل الجثث الغريقة .

اول غرق اخراج بهجت جثته من الماء هو المرحوم عباس بهجت افندي وذلك في شهر اب عام ١٩٩٠ ثم صار بهجت معروفا في المدينة ولم يكن يوما يميز هوية من ينتشله ، تركانيا كان ام عربيا ام كرديا بل كان ينفع في مهمته الانسانية بروح انسانية وطنية ..
مجموع الغرقى الذين اخراج بهجت جثثهم حتى الان يبلغ (٥٠) غرقيا .
وأخر من اخراجه بهجت هو المرحوم مصحفي نجل الأستاذ القدير غريب احمد اغا وذلك في شهر نيسان عام ٢٠٠٧ .
أصعب موقف وجد فيه بهجت نفسه كان في ناحية اسرلي حين نزل الى قعر بئر ماء قبل سنة مضت لانتشال جثة غريق والمعروف ان قعر البئر قليل الهواء لا يسمح للسباح بالتواصل في عملية الانقاذ لفترة طويلة ، لكنه مع ذلك نجح في اخراج جثة الغريق .
في عام ١٩٧٨ مافر بهجت الى رومانيا مع زميله ((خالد احمد تروزي / المقوقد في الحرب العراقية الايرانية - و المرحوم مهدي كريم عجم)) فاستضافهما السيد انور صفر في شقته وكان طالبا في كلية الهندسة في

وجدي نياز الدين



رومانيا آنذاك ، فذات يوم خرجوا الى البحر ليستمتعوا بهوائه المنعش ولقضاء امتع الاوقات ، ويقول بهجت لما رأيت الناس يسبحون في البحر بواسطة تجادات من مختلف الانواع ، رغبت في السباحة فنزلت الى البحر مياشرة وبدون نجاة ، وبدأت اسبح وتو غلت في السباحة الى بعد نقطة حتى تجاوزت الحد المخصص للسباحة ، فاستدعني الشرطة البحرية الرومانية وابست اعجابها بهمارتي في السباحة فتحدثوا مع الزميل انور بالرومانية طالبين منه ان يقتعني في البقاء في رومانيا حتى انهم عرضوا علي بنحى الجنسية الرومانية واعطاني ما اريد لقاء بقائي هناك ، ولكني رفضت عرضهم المخفي هذا متعللا بعدم كتملي للغة عن الوطن بعيدا عن اهلي ووالدي ولقد كنت اناك اعزبا .
أخي القاري ..

انظروا كيف اراد الرومانيون اقناع بهجت في البقاء في بلدهم ليستقيموا من مهارته في البحرية الرومانية بينما نحن ننسى مثل هذا السباح الماهر ولا نتذكره الا عند الحاجة .
واخيرا اناشد المعنيين في الحكومة ان يبتسوا مسيحا في مدينتنا كي نتدرب فيه على السباحة ، وامننى ان يكون بهجت بربر هو المدرب والمرشرف على السباحة حتى نستفيد من خبرته ونخلق قاعدة شعبية لهذا النوع من الرياضة في المستقبل .

ملاحظة : الذين سبقوا بهجت بـ (٥٠) عاما في السباحة انكر منهم :
السيد سليمان السيد علي - زين العابدين محمد ديو رحهما الله .



من مشاهير طوز خورماتو ((- قاضي عباس)) - صلاح الدين ناجي اوغلو



ظهر من ابناءه (قاضي حسن) وكان له صوت جميل سيز ويقال انه حسيما يعني بيكي السامعين وكان يجيد كل المقامات والاصول التركمانية .
عشق فتاة وتزوجها ولكن زواجا لم يدم حيث وافاه الأجل وهو في طريقه الى المستشفى فوضع يده على خده وغنى :
((اليم النيدة قاندي
كوزوم كينده قاندي
كيديره محق نه ونويه
كمر بيلنده قاندي))
بعد وفاته أنجبت له زوجته بنتا سبتها (كمره) ، وأما ابنه العاشر (اون باشي) فكان يملك صوتا جميلا وكان استادا في اجادة كافة الاصول والمقامات التركمانية حيث اشتهر في زمانه .
ومن أحفاد (قاضي عباس) ظهر كثير من الشعراء والأبباء واصحاب مناصب عالية .

طوز خورماتو مدينة عريقة وتاريخها قديم جدا ، وهي مدينة العلم والادب والشعر والتراث .. هذه المدينة التي انجبت الكثير من الشعراء والادباء والشهداء الابطال والشخصيات الفريدة في كافة المجالات اشتهرت ايضا بشخصيات ومشاهير تركوا بصماتهم في تاريخ وثقافة هذه المدينة الأصيلة ، ومن بين هؤلاء المشاهير اخترنا لموضوعنا شخصا قضى كل حياته في خدمة ابناء جلدته ، وكان قاضيا وفكاهيا وشاعرا مبدعا وهو المعروف والمشهور في طوز بأسم (قاضي عباس) .

والقاضي - عباس بن علي بن سليمان - من مواليد سكة محلة - اورطا - حيث ولد وعاش ومات قبل الحرب العالمية الأولى .
كان قاضيا في العهد العثماني يقيم الحكم بين الناس وبعد النكاح ويلقن الموتى ويصلي عليهم . تتلمذ - قاضي عباس - على يد بعض الكتاتيب فاجاد القراءة والكتابة ثم أطلع على المسائل والأمور الشرعية والفقهية ، وصارت له خبرة كافية فاختير من قبل الدولة العثمانية قاضيا للمدينة .. خدم فترة طويلة من الزمن ، قضى خلاله من الامور القضائية البسيطة .. صلاح بين الممتاز عين بحكم معرفته بأهل المدينة ، واشتهر بطريقته الفكاهية في حل المنازعات حيث كان يمتعين في معضنها بالامثال الشعبية من قبيل (كوزو كندی ياغي توككو) علاوة على كونه قاضيا ، كان شاعرا يملك صوتا جميلا وينسب له هذا الخوريات :-

- دوشده كور -
خيالدا كور دوشده - كور
دوشه نين دوستو اولماز
اينانسان دوشده كور .

خلف (قاضي عباس) عشرة ابناء وكان لا يعرف اسماءهم فيعدهم ببكورتته فردا قبل ان يركنوا الى النوم وهم :
(محمد علي - حسن - رفيق - امين - شفيق - توفيق - سمين - رضا - قنبر - اون باشي) .